

القصيدة التائية

للفقيه الزاهد

أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود

الإلبيري الأندلسي



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

[١]

قال الفقيهُ الزَّاهدُ أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ مَسعُود الإلبيريّ ، رحمة الله عليه :

[في القصيدة خطاب وعتاب ومحاورة مع مَنْ دعاه (أبا بكر) . وكان هذا الرجل قد ذكر بعض معايب الشاعر ، وبلغه ما قال . وقد جعل الشاعر هذا المُنطلق فرصةً لبسط آرائه في العلم والتقوى والتوبة ونبذ الدنيا ؛ وإشارةً إلى مقالة أبي بكر فيه ، وتجاوزاً لها في الوقت نفسه . واختلط الحديث بين توجيه أبي بكر هذا والحديث عن النفس من منطلق لوم الذات (من التحرّج المستمرّ) وتضخيم الهفوات ، وإعلان الخضوع المطلق لله تعالى .

بدأ الشاعر القصيدة بالكلام على غفلة الإنسان عما تصنعه آلة الزمن في بني آدم (١ ـ ٥) ودعا أبا بكر ـ والخطاب عامّ ـ إلى العلم النافع (٦ ـ ١٠) وبيّن منزلة العلم وحلاوته (١١ ـ ١٩) وأن الإنسان مسؤول عن علمه والعمل به وعن جهله لوجهل (٢٠ ـ ٢٧) وسفّه من يفضل المال ـ وما يلحق به ـ على العلم (٢٨ ـ ٤٤) وهوّن شأن الدنيا (٤٥ ـ ٥٤) فهي عَرَض فانٍ ، ودعا إلى الجدّ ـ دون الهزل ـ وإلى التّوبة والخضوع لله تعالى (٥٥ ـ ٦٠) وتعجيل التوبة (٦١ ـ ٦٥) وجعل نفسه مثالاً يتحدث عنه (٦٦ ـ ٦٩) وعاد إلى خطاب أبي بكر ، وحَذَر

من الإخلاد إلى الدنيا ومن نسيان الآخرة (٧٠ ـ ٨١) وإلى تذكر يوم الحساب (٨٢ ـ ٨٦) .

وخرج إلى اعتراف عام بالذنوب وسرد لمعايب الإنسان المقصّر (٩٧ ـ ٩٩) وإلى نصائح عامة أخلاقية ، في الحذر من رفاق السّوء وأهل الجهل : ودعا إلى إباء الضيم ، وإلى الضرب في الأرض الواسعة سعيا وراء ذلك] .

[من الوافر]

١ تَفُتُّ فؤادَكَ الأيَّامُ فَتَّا وتَنْحِتُ جِسمَكَ السَّاعاتُ نَحتا
٢ وتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعاءَ صِدقٍ: ألا ياصاحِ: أنتَ أُريدُ، أنْتا!
٣ أراكَ تُحِبُّ عِرْساً ذاتَ غَدرٍ أَبَتَّ طَلاقَها الأكْياسُ بَتَّا
٤ تنامُ الدَّهرَ وَيحَكَ في غَطيطٍ بِهَا حَتَّى إذا مِتَّ انتَبَهْتَا
٥ فكَمْ ذا أنتَ مَخدوعٌ وحتَّى مَتى لاتَرعَوِي عَنها وحَتَّى؟

(٣) العِرْسُ : امرأة الرّجل (وتقال أيضاً لرجل المرأة فهما عرسان) .
ويقال : أَبَتَّ الطلاقَ بَتَّةً وإبتاتا : أوقعه باتّا . أمّا البتُّ فمصدر فعل بتّ ؛ يقال : بَتَّ الطلاقَ أي أوقعه ثلاثاً باتّاً . وفي نهج البلاغة بتحقيق الدكتور صبحي الصالح رحمه الله : « يادنيا ! يادُنيا ! إليك عني ؛ أبي تعرّضت ؟ أم إليَّ تَشَوَّفْتِ ؟ لا حان حينك ! هيهات ! غرّي غيري ، لاحاجة لي فيك ؛ قد طلقتك ثلاثاً لارجعة فيها ! » .
(٤) يقال : غطّ النائم غَطّاً وغطيطاً أي : شخر وسُمِعَ له غطيط ، وفي « كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » (٣١٢/١) عند ذكره الكلام المشهور : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) مانصّه : « هو من قول علي بن أبي طالب ؛ لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري ولفظه في ترجمته ، ومن كلامه : الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا ماتوا ندموا ، وإن ندموا لم تنفعهم ندامتهم » .
(٥) يقال ارعوى عن كذا أي : كفّ وحَسُن رجوعه عنه .

٦ أبـا بكرٍ دَعَـوتُـكَ لـو أجَبتـا إلى مـافيـهِ حَظُّـكَ إن عَقَلْتـا
٧ إلى عِلْمٍ تكـونُ بــهِ إمـامـاً مُطـاعـاً إن نَهَيْتَ وإنْ أمَرْتـا
٨ وتَجلو مـا بِعَينِـكَ مِن عَشَـاهـا وتَهـديـكَ السَّبيـلَ إذا ضَلَلْتـا
٩ وتَحْمِـلُ مِنـهُ في نـادِيكَ تـاجـاً ويكسُـوكَ الجَمـالَ إذا اغتَرَبْتـا
١٠ يَنـالُـكَ نَفْعُـهُ مـادُمْتَ حَيّـاً ويَبْقى ذُخرُهُ لـكَ إن ذَهَبتـا
١١ هُـوَ العَضبُ الْمُهَنَّـدُ ليس يَنبُـو تُصِيبُ بـهِ مَقـاتِـلَ مَنْ ضَرَبتـا
١٢ وكَنزاً لاتَخـافُ عليـهِ لِصّـاً خَفيفَ الْحَملِ يُوجَدُ حيثُ كُنتا
١٣ يَـزيـدُ بكَثرَةِ الإنفـاقِ مِنْـهُ وينقُصُ أن بـهِ كفّـاً شَـدَدْتـا

(٦) (أبو بكر) كنية المخاطب المباشر في القصيدة ، وقد نبَّه إليه مرة أخرى في القصيدة (انظر البيت ٨٧ وما قبله وما بعده) ، وجعل الحديث إليه وسيلة لبسط آرائه ومواقفه . ولم نهتدِ إلى المخاطب بهذه الكنية في القصيدة . لم أهتد إليه يقيناً ؛ ولعله أبو بكر بن الحاج المخاطب بالقصيدة [٣١] من هذا الديوان . ويدل البيت ٨٩ هنا على أن أبا بكر قد هجاه .

(٨) العَشا : ضعف البصر . ونذكر هنا بعض قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيريَ الأندلسي (يتيمة الدّهر ٢/١٠٢) :

واعلمْ بـأن العلمَ أرفـع رتبـة وأجـلَّ مكتسب وأسنى مفخرِ
فـاسلك سبيـل المقتنين لـه تسدْ إن السيـادة تقتنى بـالـدفتر
والعـالم المـدعـوّ حَبْراً إنمـا سمّاه بـاسم الْحَبْرِ حَمْـلُ الْمِحْبَرِ !

وقصيدة عبد الملك هذه من عيونِ شعرِ الحكمة .

(١١) العَضْب : السيف القاطع ، والمهنّد : السيف ؛ وأصل معناه من هَنَد السيف أي شحذه ، أو هو منسوب إلى الهند (المطبوع من حديد الهند) .

(١٢) في شعر الشافعي رضي الله عنه (ديوانه : ١٠٠)

عِلمي معي حيثما يممت كان معي قَلبي وعـاءٌ لـه لا بَطنُ صُنـدوق
إن كنت في البيتِ كان العلمُ فيـه معي أو كنتُ في السُّوق كان العِلم في السُّوقِ !

(١٣) في الأصل (أن) ، كما هو مثبتٌ ؛ والشرط في الجملة عندي مقبول .

١٤ فلـو قـد ذُقتَ من حَلـواهُ طَعماً ... لآثَرْتَ التعلُّمَ واجتَهَـدتـا
١٥ ولم يَشغلـكَ عنـهُ هَوًى مُطـاعٌ ... ولا دُنيـا بـزُخْرُفِهـا فُتِنْتـا
١٦ ولا أَلهـاكَ عَنـهُ أنيـقُ رَوْضٍ ... ولا خِـدرٌ بِرَبرَبِـهِ كَلِفْتـا
١٧ فَقُوتُ الرُّوحِ أرواحُ الْمَعـاني ... وليسَ بـأن طَعِمتَ وأن شَرِبتـا
١٨ فَـواظِبْـه وخُـذ بـالْجِـدِّ فيـهِ ... فـإنْ أعطـاكَـهُ اللهُ أخَـذتـا
١٩ وإن أُوتِيْتَ فِيـهِ طَويـلَ بـاعٍ ... وقـالَ النَّـاسُ إنَّـكَ قـد سَبقتـا
٢٠ فـلا تـأمَنْ سـؤالَ اللهِ عنـهُ ... بتـوبيخٍ : عَلِمْتَ فهل عَمِلْتـا ؟
٢١ فَرأسُ العِلمِ تَقـوى اللهِ حقّـاً ... ولَيسَ بـأن يُقـال: لقـد رَأستـا
٢٢ وضَـافي ثَـوبِـكَ الإحسـانُ لاأن ... تُرى ثَـوبَ الإسـاءَةِ قـد لَبِسْتـا

---

(١٦) الخِدر (بالكسر) ستر يُمدُّ للجارية في البيت ؛ وكلُّ ماواراك من بيت ونحوه . والرَّبرب : القطيع من بقر الوحش . شبّه النساء الجميلات بالبقر الوحشي .

(١٨) في الأساس : وَظَب على الأمر ، وواظب عليه ، وقول الشاعر : (واظِبْهُ) ـ أي : تعدية الفعل إلى المفعول ـ لم يردْ في كتب اللغة ؛ ولا أعرفه في آثار الأدباء ..

(٢٠) في كشف الخفا (لاتزول قدما ابن ادم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به) . رواه الطبراني ورواه الترمذي (٣٧٨/٢) . وفي سنن الدارمي (٨٢/١) عن أبي كبشة السّلولي قال : سمعت أبا الدرداء يقول : إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمٌ لا يُنْتَفَعُ بعلمه .

(٢١) في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : رأس الحكمة مخافة الله تعالى (الفتح الكبير : ١٢٢/٢) .

(٢٢) روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبر » ، قال رجل : إنّ الرّجل يُحبّ أن يكون ثوبُه حسَناً ونعله حسَناً ! قال : « إنّ الله جميل يحبّ الجمال ؛ الكبرُ : بَطَرُ الْحَقّ وغَمْطُ النّاس » .

٢٣ إذا مــــالَمْ يُفِــــدْكَ العلمُ خَيْراً　　فَخَيْرٌ منــهُ أنْ لــوقَــدْ جَهلْتــا
٢٤ وإنْ ألقَــاكَ فَهْمُــكَ في مَهــاوٍ　　فليتَــكَ -ثُمَّ لَيْتَــكَ !- مــافَهِمتــا
٢٥ سَتَجْني منْ ثِمارِ العَجْــزِ جَهْــلاً　　وتَصْغُرُ في العُيــونِ إذا كَبُرتــا
٢٦ وتُفقَــدُ إن جهِلتَ وأنتَ بــاقٍ　　وتُــوجَــدُ إن عَلِمْتَ وقَدْ فُقِــدْتــا
٢٧ وتَــذكُر قَــوْلَتي لــكَ بعــدَ حِيْنٍ　　وتَغْبِطُهــا إذا عَنْهــا شُغِلتــا
٢٨ لَسَــوف تَعَضُّ من نَــدَمٍ عَلَيْهــا　　ومــا تُغني النَّــدامَــةُ إنْ نَــدِمْتــا
٢٩ إذا أبْصرتَ صَحْبَــكَ في سَماءٍ　　قــد ارتَفَعوا عَلَيْكَ وقــد سَفَلْتــا
٣٠ فَراجِعْهــا ودَعْ عَنــكَ الْهُــوَيْنى　　فمــا بــالبُــطءِ تُــدْرِكُ مــا طَلَبْتــا
٣١ ولا تَحفِــلْ بمــالِــكَ والْــهُ عنــهُ　　فليسَ المــالُ إلاَّ مــا عَلِمتــا
٣٢ وليسَ لجــاهِــلٍ في النَّــاسِ مَعْنًى　　ولــو مُلْــكُ العِراقِ لــهُ تــأَتّى

(٢٣) في الدعاء المشهور : « إنِّي أعوذ بك من علم لا ينفع » وفيه « سلوا الله علماً نـافعـاً » و « اللهم إنِّي أسألك علماً نافعاً » .

(٢٥) كَبُر (بضم الباء) : عَظُمَ ، وهو يريد معنى التكبّر والتّعاظم .

(٢٧) تغبطها : أي تتمنى الحصولَ عليها (بعد تضييعها أو التشاغل والانشغال عنها) .

(٢٩) في سماء : أي في منزلة عالية (مادياً ومعنوياً) .

(٣٠) الهُوينى : التؤدة والرفق والسكينة والوقار .

(٣١) ينبه الشاعرُ السامعَ والقارئ على ما في القرآن الكريم من صفة المال في بعض الآيات التي ورد فيها ذكر المال ؛ قال تعالى في سورة الأنفال (٢٨/٨) : ﴿ واعْلَموا أنَّما أموالُكُم وأَولادُكُم فِتنَةٌ ﴾ . وفي سورة سبأ (٣٧/٣٤) ﴿ وما أموالُكم ولا أولادُكم بالّتي تُقَرِّبُكم عندنا زُلفى ﴾ . وفي سورة المنافقون (٩/٦٣) ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا لا تُلهِكم أموالُكم ولا أولادُكم عَنْ ذِكرِ الله ﴾ .

(٣٢) ضرب المثل بـ (ملك العراقين) لمـا هـو واسعٌ كثير من السلطة والملك ، ومنه قول أبي الطيب :

وغيرُ كثير أن يــزورَك راجــلٌ　　فيرجــع ملكاً للعراقين واليــاً !

٣٣ سَيَنطِقُ عَنْكَ عِلمُكَ في نَدِيٍّ	ويُكتَبُ عَنكَ يَوماً إن كَتبتا
٣٤ وما يُغنيكَ تشييدُ المَباني	إذا بالْجَهلِ نَفسَكَ قَد هَدَمتا
٣٥ جَعَلتَ المالَ فوقَ العِلمِ جهلاً	لَعَمْرُكَ في القضِيَّةِ ما عَدَلتا
٣٦ وبَينَهُما بنَصِّ الوَحيِ بَونٌ	سَتَعلَمُهُ إذا «طَهَ» قرأْتا
٣٧ لئنْ رَفَعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ	لأَنْتَ لواءَ عِلْمِكَ قد رَفَعتا
٣٨ وإنْ جَلَسَ الغنيُّ على الْحَشايا	لأَنْتَ عَلى الكواكبِ قد جَلَسْتا
٣٩ وإن ركبَ الجيادَ مُسَوَّماتٍ	لأَنتَ مناهِجَ التَّقوى ركِبْتا
٤٠ ومَهما افتَضَّ أبكارَ الغَواني	فكَمْ بِكرٍ منَ الحِكَم افتَضَضتا
٤١ وليسَ يَضُرُّكَ الإقتارُ شَيئاً	إذا ما أنتَ ربَّكَ قَد عَرَفتا
٤٢ فَماذا عِندَهُ لكَ منْ جميلٍ	إذا بِفِناءِ طاعَتِهِ أَنَخْتا
٤٣ فقابِل بالقَبولِ صَحيحَ نُصحي	فإن أعرَضتَ عنه فقد خَسرتا

---

(٣٣) النَّديّ والنادي : مجتمع القوم .

(٣٦) قال البلوي (ألف باء ١٣/١) معلقاً على إشارة البيت : يريد قوله تعالى ﴿ وَقلْ ربِّ زِدْني عِلماً ﴾ [طه ١١٤/٢٠] .

(٣٨) الحشايا : ج الْحَشِيَّة : الفراش المحشو ؛ وهو ـ كما في متن اللّغة ـ المعروف في الشام بالطرّاحة . وما تزال الكلمة حيّة في ديار الشام . والبيت في معنى : رُتبةُ العلم أعلى الرتب .

(٣٩) سوّم الفرس : أعلمه بسومة . والسّومة : السّمة والعلامة .

(٤١) الإقتار مصدر أَقْتَر الرجل : قلَّ ماله وضاق عيشه .

(٤٢) استعمل (ماذا) بدلاً من (كم ذا) لأنّ المعنى : إذا لزمت طاعة الله سبحانه وتعالى ، ظفرت بكثير مما أعدَّ الله لعباده من أهل الطاعة . وكلمة (جميل) صفة لموصوف محذوف مقدّر .

٤٤ وَإنْ راعَيْتَـــهُ قـــولاً وفِعْـــلاً | وتـــاجَرْتَ الإلَـــهَ بـــهِ رَبحْتَـــا
٤٥ فليْسَت هـــذِهِ الـــدُّنيـــا بشيءٍ | تَسُـــوؤُكَ حقبَـــةً وتَسُرُّ وَقْتَـــا
٤٦ وغـــايَتُهـــا إذا فكَّرتَ فيهـــا | كَفَيْئِـــكَ أو كَحُلْمِـــكَ إنْ حَلَمتـــا
٤٧ سُجِنْتَ بِهـــا وأنْتَ لهـــا مُحِبٌّ | فكيف تُحِبُّ مـــا فيـــهِ سُجِنتـــا
٤٨ وتُطعِمُـــكَ الطَّعـــامَ وعن قَريبٍ | ستَطْعَمُ منـــكَ مـــامِنْهـــا طَعِمْتـــا
٤٩ وتَعْرَى إنْ لَبِسْتَ لهـــا ثِيـــاباً | وتُكْسى إنْ مـــلابِسَهـــا خَلَعْتَـــا
٥٠ وتشهَـــدُ كلَّ يـــومٍ دَفنَ خِـــلٍّ | كأنَّـــكَ لا تُرادُ بِما شَهِـــدتـــا !
٥١ ولَمْ تُخْلَـــق لِتَعْمُرَهـــا ولكنْ | لِتَعْبُرَهـــا فَجِـــدَّ لِما خُلِقْتَـــا
٥٢ وإن هُـدِمَتْ فَزِدهـا أنتَ هَـدماً | وحَصِّن أمرَ دينـكَ مـا استطَعتـا

---

(٤٤) في سورة فاطر [٢٩/٣٥] : ﴿ إنَّ الذين يتلون كتابَ اللهِ وأقامُوا الصَّلاةَ وأنفقوا مما رزقناهم سِرّاً وعلانيـةً يَرجون تجـارةً لن تَبور ﴾ . وفي سورة الصف [١٠/٦١] : ﴿ يـا أيُّهـا الـذين آمنوا هل أدلُّكُم على تجارةٍ تُنجيكم من عَذابٍ أليم ، تؤمنون باللهِ ورسوله وتجاهـدون في سبيلِ الله بـأمـوالِكم وأنفسِكم ذَلكُمْ خيرٌ لكم إنْ كُنتم تَعْلَمـون ﴾ والمرادُ بـالمتـاجرة في الآيتين الكريمتين : المعنى المجازي .

و « التجارة » تَرِدُ للعمل : يترتّب عليه خيرٌ أو شَرّ .

(٤٦) الفيء ـ هنا ـ ما كان شمساً فينسخه الظل ، والْحُلم بضم اللام وسكونها .

(٤٧) في الحديث : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . رواه مسلم وغيره .

(٥١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نـام رسول الله ﷺ على حَصير فقـام وقـد أثّر في جنبه ؛ قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطاء فقال : « ما لي وللدُّنيـا ؟ مـا أنـا في الـدنيـا إلا كراكبٍ استظَـلَّ تحتَ شَجرة ، ثم راحَ وتركهـا » . رواه الترمـذي وقـال : حـديث حسن صحيح . وفي مسند الإمام أحمـد (٢٤/٢) أنَّ عبـدَ الله بنَ عُمَرَ بنِ الخطّـاب رضيَ اللهُ عنـه قال : أخَذَ رسول اللهِ ﷺ ببعض جسدي فقال : « يا عبدَ الله ، كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غريبٌ أوْ عابِرُ سبيلٍ ، واعْدُدْ نَفْسَكَ في الْمَوْتى » .

٥٣ ولا تحـزَنْ على مـا فـاتَ مِنْهـا | إذا مـا أنتَ في أُخْراكَ فُـزْتـا
٥٤ فليسَ بنـافـعٍ مـا نِلْتَ فيهـا | مِنَ الفـاني، إذا البـاقي حُرِمتـا
٥٥ ولا تَضْحَـكْ مـع السُّفهـاءِ لَهـواً | فـإنَّـكَ سـوفَ تبكي إن ضَحِكتـا
٥٦ وكيفَ لـكَ السُّرورُ وأنتَ رَهنٌ | ولا تَـدري أتُفـدى أم غَلِقْتـا
٥٧ وسَلْ مِن رَبِّكَ التَّوفيقَ فِيهـا | وأَخلِصْ في السُّؤالِ إذا سَـأَلتـا
٥٨ ونـادِ إذا سَجَـدْتَ لـهُ اعْتِرافـاً | بمـا نـاداهُ ذو النُّـون بنُ مَتّى
٥٩ ولازِمْ بـابَـهُ قَرْعـاً عَسـاهُ | سَيَفتَـحُ بـابَـهُ لـكَ إن قَرَعْتـا
٦٠ وأَكثِرْ ذكرَهُ في الأَرضِ دَأْبـاً | لِتُـذكَرَ في السَّماءِ إذا ذَكَرْتـا
٦١ ولا تَقُـل الصِّبـا فيـه مَجـالٌ | وفَكِّرْ كم صَغيرٍ قـد دفَنْتـا !

---

(٥٣) راجع ما في التنزيل الحكيم (الحديد ٥٧ / الآيات ٢٢ ـ ٢٣) .

(٥٥) في سورة التوبة ٨٢/٩ : ﴿ فَلْيَضْحَكوا قَليلاً وَلْيَبْكوا كَثيراً جَزاءً بِما كانوا يَكْسِبون ﴾ .

(٥٦) غَلِقَ الرَّهْنُ : استحقّه الْمُرتهن ؛ وذلك إذا لم يُفْتَكّ في الوقت المشروط .

(٥٨) قال تعالى في سورة الأنبياء (٢١ : ٨٧ ـ ٨٨) : ﴿ وذا النُّون إذ ذهبَ مُغاضباً فظَنَّ أن لن نقدرَ عَليه فَنادى في الظُّلماتِ أنْ لا إلهَ إلاّ أنت سُبحانَك إنّي كُنت من الظّالمين . فاستجَبْنا له ونَجَّيْناهُ من الغَمّ وكذلك نُنجي الْمُؤمنين ﴾ .
ـ قال القرطبي في تفسيره (٣٢٩/١١) : ذو النون لقب ليونس بن متّى (عليه السلام) ولُقب بذلك لابتلاع النون إياه .
ـ والنون : الحوت .

(٦٠) في التنزيل الحكيم [البقرة ١٥٢/٢] : ﴿ فاذكُروني أذكُركم واشكُروا لي ولا تَكْفُرون ﴾ .

(٦١) في كشف الخفا (١٤٨/١) : « اغتنمْ خمساً قبلَ خَمس ؛ حياتك قبل موتك ، وصحّتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » . رواه الحاكم وصححه البيهقي عن ابن عباس . قال : قاله رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظهُ .

٦٢ وقُــلْ لي يــا نَصيــحُ لأَنْتَ أَولى — بنُصْحِـكَ لـو بعقلـكَ قـد نَظَرْتـا
٦٣ تُقطِّعني على التَّفريــطِ لَــوْمــاً — وبـالتَّفريـطِ دهْرَكَ قـد قَطعتـا
٦٤ وفي صِغَري تُخَــوِّفُني الْمَنــايــا — ومـا تَجْري بِبـالِـكَ حِينَ شِخْتـا
٦٥ وكُنْتَ مع الصِّبـا أَهْـدَى سبيلاً — فما لـكَ بعـدَ شَيْبـكَ قـد نُكِستـا
٦٦ وهـا أنـا لم أَخُضْ بَحْرَ الْخَطـايـا — كا قَـدْ خُضْتَــهُ حتّى غَرِقتــا
٦٧ ولم أَشْرَبْ حُمَيَّـــا أُمِّ دَفْرٍ — وأَنتَ شَرِبْتَهــا حتَّى سَكِرتــا
٦٨ ولم أَحْلُــلْ بــوادٍ فيـــه ظُلْمٌ — وأَنتَ حَللتَ فيـــهِ وانْهَمَلتــا
٦٩ ولم أَنْشَــأْ بِعَصْرٍ فيـــهِ نَفــعٌ — وأَنتَ نشأْتَ فيــه ومـا انتفَعْتـا
٧٠ وقــد صــاحَبْتَ أَعْلامــاً كِبــاراً — ولم أَرَكَ اقتــديْتَ بِمَنْ صَحِبْتــا
٧١ ونــاداكَ الكِتــابُ فلَم تُجِبْــهُ — ونَهْنَهــكَ الْمَشيبُ فما انتبهْتــا
٧٢ لَيَقْبُــحُ بــالفَتى فِعْــلُ التَّصــابي — وأَقبَــحُ منــهُ شيــخٌ قــد تَفتَّى

---

(٦٢) يقال : هو ناصح ونَصيح ، من فعل نصح ؛ يقال : نصَحه ونصَح له .

(٦٣) فرَّط في الشيء : ضيّعه وقدّم العَجْزَ فيه ؛ وقصَّر .

(٦٥) يقال : نُكِس المريض : إذا عاودَتْه العلّة بعد النَّقـه . ونُكس على رأسـه : رجع عَمّا عَرفـه . وفي التّنزيل العزيز في ذكر قوم إبراهيم ﴿ ثُمَّ نُكِسوا على رُؤوسهم ﴾ .

(٦٧) أمُّ دَفْرٍ : كنيةُ الدنيا . (انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢٥٧) .
والحميّا من الكأس : سورتها وشدتها ، أو إسكارها ، أو أخذها بالرأس .

(٦٨) أصل معنى همل (الدمع) وانهمل : انصبّ ، وانهملت العين : فاضت .

(٧١) نهنهه عن الأمر : كفّه وزجره .

(٧٢) شيخ قد تَفَتّى : سلك سبيل الفتيان .
وفي حـديث أنس عن رسـول الله ﷺ أنـه قـال : « خير شبــابكم من تشبّـه بكهـولكم ، وشرُّ كهولكم من تشبّه بشبابكم » رواه في بهجة المجالس ٢/٢١١

٧٣ فـأنتَ أَحَقُّ بالتَّفنيدِ منّي ... ولو سكتَ الْمُسيءُ لَما نَطَقْتا
٧٤ ونَفْسَكَ ذُمَّ لا تَذمُمْ سِواها ... بِعَيْبٍ فهيَ أجدَرُ مَنْ ذَمَمْتا !
٧٥ فلو بَكَتِ الدِّما عيناكَ خَوفاً ... لِذَنبِكَ لَمْ أَقُلْ لكَ قد أَمِنتا
٧٦ ومَن لكَ بالأَمانِ وأَنْتَ عبدٌ ... أُمِرتَ فَما ائتَمرتَ ولا أَطعتا
٧٧ ثَقُلتَ مِنَ الذُّنوبِ ولستَ تَخْشى ... لجهلِكَ أَنْ تَخِفَّ إذا وُزِنتا
٧٨ وتُشفِق للْمُصِرِّ على الْمَعاصي ... وتَرحَمُهُ، ونَفسَكَ ما رَحِمتا
٧٩ رجعتَ القَهقَرى وخَبطتَ عشوا ... لَعَمرُكَ لو وصَلْتَ لَما رَجَعتا !
٨٠ ولو وافَيتَ ربَّكَ دونَ ذَنْبٍ ... ونـاقَشَكَ الحِسابَ إذاً هَلَكتا
٨١ ولم يظلِمْكَ في عَمَلٍ ولكن ... عَسيرٌ أن تقومَ بِما حَمَلْتا
٨٢ ولَو قد جئتَ يومَ الفَصلِ فَرداً ... وأبصرتَ المنازلَ فيهِ شَتَّى
٨٣ لأَعظَمتَ النَّدامةَ فيهِ لَهفاً ... على ما في حَياتِكَ قد أَضَعْتا

---

(٧٣) فنّده تفنيداً : كذّبه ، وعجّزه ، وخطّأ رأيه .

(٧٧) في التنزيل العزيز [القارعة ١٠١/٥-٩] : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُه فهو في عيشةٍ راضيـة . وأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوازينه فأُمُّهُ هاوية ﴾ .

(٧٨) في الأساس : أشفقت عليه أن يناله مكروه ، وأنا مشفق عليه من هذا الأمر .

(٧٩) رجع القهقرى : إلى الوراء ، وخبط عشواء : مثَلٌ ، وأصله من خبط الناقة التي ضعف بصرها ، فهي لاتميّز أين تمضي وماذا تصيب في طريقها .

(٨٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حوسب يوم القيامة عُذّب » . فقلت : أليس قد قال الله عز وجلّ : ﴿ فسَوَفَ يحاسَبُ حساباً يَسيراً ﴾ فقال : « ليس ذاك الحساب ، إنما ذلك العَرْض ؛ من نوقش الحسابَ يوم القيامة عُذّب » .

(٨٢) في سورة مريم [١٩/٩٣-٩٥] : ﴿ إنْ كُلُّ مَنْ في السَّماواتَ والأَرض إلا آتي الرحمن عَبدا . لقد أَحصاهُم وعدَّهم عدًّا . وَكُلهم آتيهِ يومَ القيامةِ فَردا ﴾ .

(٨٣) في التنزيل الحكيم [الزمر ٣٩/٥٥-٥٦] : ﴿ واتّبِعوا أَحسنَ ما أُنزلَ إليكم من ربكم مِن قبلِ أنْ =

٨٤ تَفِرُّ مِنَ الْهَجِيرِ وتتَّقِيـه فَهَلاَّ عن جهنَّمَ قد فَرَرتا ؟
٨٥ ولستَ تُطيقُ أَهونَها عَذاباً ولو كنتَ الحديدَ بها لَذُبتا
٨٦ فلا تُكذبْ فإنَّ الأمْرَ جِدٌّ وليسَ كما احتسَبْتَ ولا ظَنَنْتا
٨٧ أَبا بكرٍ كَشَفتَ أقلَّ عَيبي وأَكثَرَهُ ومُعظَمَهُ سَتَرتا
٨٨ فقُلْ ماشئتَ فيَّ من المخازي وضاعِفْها فإنَّكَ قد صَدَقتا
٨٩ ومهْما عِبتَني فَلِفرطِ عِلمي بباطنَتي كأنَّكَ قد مَدَحْتا
٩٠ فلا تَرْضَ الْمَعايبَ فهيَ عارٌ عَظيمٌ يورِثُ الإنسانَ مَقْتا
٩١ وتَهوي بالوَجيهِ مِنَ الثُّرَيَّا وتُبْدِلُهُ مكانَ الفَوْقِ تَحْتا
٩٢ كما الطَّاعاتُ تَنعَلُكَ الدَّراري وتجعلُكَ القريبَ وإن بَعُدْتا
٩٣ وتنشُرُ عنكَ في الدُّنيا جميلاً فتُلْفَى البَرَّ فيها حيثُ كُنتا
٩٤ وتَمشي في مَناكِبها كَريماً وتَجني الْحَمدَ مِمَّا قد غَرَسْتا

= يأتيَكم العذاب بغتةً وأنتم لاتشعرون . أنْ تقولَ نفسٌ يا حسرتا على مافرَّطتُ في جَنبِ الله وإن كنتُ لَمِنَ الساخرين ﴾ .

(٨٤) الهجير : نصف النهار في القيظ خاصة (أي في عزِّ الصيف) .

(٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث رسول الله ﷺ : « أهونُ الناس عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه » . الفتح الكبير (٤٧٢/١) .

(٨٦) أي لايكن منك غفلة فتصدق مايُكذب به عليك في أحوال الآخرة ؛ واحتسبه : ظنه .

(٨٩) الباطنة من الرجل : سريرته .

(٩٠) يقال : مقته يمقته مقتاً أي : أبغضه أشد البغض وكرهه لقبيح ركبه . وقد وردت الكلمة في أكثر من موضع في القرآن الكريم .

(٩١) الوجيه : ذو الجاه والقدر .

(٩٢) أي تجعل الدراري (النّجوم) كالنعل لك (على سبيل المبالغة وضرب المثل) .

٩٥ وأنتَ الآنَ لَمْ تُعرفْ بِعابٍ ... ولا دنَّستَ ثوبَكَ مُذ نشأتا
٩٦ ولا سابَقتَ في ميدانِ زُورٍ ... ولا أوضَعْتَ فيهِ ولا خَبَبتا
٩٧ فإنْ لم تَنأَ عنهُ نَشِبتَ فيهِ ... ومَنْ لكَ بالْخَلاصِ إذا نَشِبتا
٩٨ ودَنَّسَ ما تَطهَّرَ منكَ حتَّى ... كأنَّكَ قبلَ ذلكَ ما طَهُرتا
٩٩ وصِرتَ أسيرَ ذَنبِكَ في وَثاقٍ ... وكيفَ لكَ الفكاكُ وقد أُسِرتا
١٠٠ وخَفْ أبناءَ جِنسِكَ واخْشَ مِنْهُم ... كما تخشَى الضَّراغِمَ والسَّبَنْتَى
١٠١ وخالِطْهُم وزايِلهُم حِذاراً ... وكنْ كالسّامريّ إذا لمسْتا
١٠٢ وإن جَهلوا عليكَ فقُلْ سَلاماً ... لعلَّكَ سوف تسْلم إنْ فَعَلْتا
١٠٣ ومَنْ لكَ بالسَّلامةِ في زَمانٍ ... ينالُ العُصْمَ إلا إنْ عُصِمتا

(٩٥) العاب : الوصمة .
(٩٦) الْخبَب : ضَرب من العَدو . وأوضعت الناقة في سيرها : أسرعت .
(٩٧) نشب في الأمر : وقع فيما لا مَخْلَص له منه .
(١٠٠) في هامش الأصل المخطوط : الضراغم : الأسود . السبنتى : النَّمر .
(١٠١) كان السامري عظيماً في بني إسرائيل ـ قيل هو منهم وقيل : دخل فيهم . دعاهم إلى الضلالة وعبادة العجل . قال الحسن : جعل اللهُ عقوبةَ السامريِّ ألا يماسّ الناس ولا يماسّوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة . وكأن الله عز وجل شدد عليه المحنة بأنْ جعله لا يماس أحداً ولا يمكن من أن يمسه أحد . ومعنى زايلهم : فارقهم .
ـ راجع تفسير القرطبي لخبر السامري ٢٣٢/١١ وما بعدها . وفي التنزيل الحكيم في سورة طه [٩٧/٢٠] : ﴿ قال فاذهبْ فإنّ لكَ في الحياةِ أن تقولَ لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظرْ إلى إلهك الذي ظلْتَ عليه عاكفاً لَنُحَرِّقَنّه ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفا ﴾ .
(١٠٢) في التنزيل الحكيم [الفرقان ٦٣/٢٥] : ﴿ وعبادُ الرَّحمنِ الذين يمشونَ على الأرضِ هوناً وإذا خاطَبهم الجاهِلونَ قالوا سَلاما ﴾ .
(١٠٣) العُصم (بالضم) جمع أعصم ، وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . وأراد مُطْلَق الوعول لأنها تسكن الجبال .

١٠٤ ولا تَلبَثْ بِحَيٍّ فيـــــهِ ضَيْمٌ   يُميتُ القَلبَ إلا إنْ كُبِلْتـــــا
١٠٥ وغَرِّبْ فـــالغَريبُ لـــهُ نَفــاقٌ   وشرِّقْ إنْ بِرِيقِـكَ قـد شَرِقتـا
١٠٦ ولَـوْ فـوقَ الأَميرِ تَكـونُ فيهـا   سُمُـوّاً وافتخــاراً كنتَ أنتـــا
١٠٧ وإنْ فرَّقْتَهــا وخرجْتَ مِنْهـــا   إلى دارِ السَّلامِ فقــد سَلِمتـــا
١٠٨ وإنْ كَرَّمْتَهـــا ونَظَرْتَ مِنْهـــا   بـإجـلالٍ فنفسَـكَ قَـدْ أَهَنْتـا
١٠٩ جمعتُ لـكَ النَّصـائحَ فـامْتَثِلْها   حياتَـكَ؛ فهيَ أفْضَـلُ مـا امْتَثَلْتـا
١١٠ وطَـوَّلْتُ العِتــابَ وزِدْتُ فيــهِ   لأَنَّـكَ في البَطـالـةِ قـد أَطَلْتـا
١١١ فــلا تــأخُـذْ بتقصيري وسَهْـوي   وخُـذْ بـوصِيَّتي لـكَ إنْ رَشَـدْتـا
١١٢ وقــد أَرْدَفْتُهــا ستّــاً حِســانــاً   وكانَتْ قَبْـلَ ذا مِئــةً وسِتّـــا

---

(١٠٤) وفي شعر المتلمس (ديوانه : ١٩٦) ويجري كلامه مجرى المثل :

ولا يقيمُ على ضيمٍ يُســـام بــــهُ   إلا الأَذَلّان عَيْرُ الحيّ والـوَتِـــدُ
هـذا على الخسفِ مربوطٌ برُمّتِــه   وذا يُشَـجّ فـلا يَرثي لـه أحـدُ!

(١٠٥) قوله : غرّب وشرّق : أي سرْ في الأرض وتحول عن مواطن الضيم .

(١٠٧) في الأصل المخطوط : فرّقتها . وأقرؤها بالألف (فارقتها) لمناسبة المعنى الظاهر .

(١٠٩) امتثل الطريقة : اتبعها فلم يَعْدُها (لم يتجاوزها) .

(١١٢) الإشارة إلى عدد أبيات القصيدة . فهي في ١١٢ بيتاً ، كانت في الأصل ١٠٦ أبيـات وزاد فيهـا ٦ أبيات .